النقد والتجديد في الشعر العباسي
بين التعصب والواقع

الدكتور حسين علي الزعبي[*]

الملخص

* **غرض البحث**: أن يدفع رؤية بعض المهتمين المعاصرين في إلصاق تهمة التعصب بقدامى النقاد ضد الشعر المحدث في العصر العباسي، كما يبرز القضايا النقدية التي ولدتها قضية التجديد.

* **وسيلة البحث**: قامت الدراسة على متابعة آراء بعض الباحثين المعاصرين، ثم اِسْتُعْرِضَتْ نماذج من مواقف النقاد القدماء؛ وهي قسمان: القسم الأول: و قد تضمن اتجاهين مختلفين من النصوص، أحدهما ما اتكأ عليه الباحثون المعاصرون في محاولة إثبات تهمة التعصب على قدامى النقاد. وثانيهما عرض نصوصاً نقدية متعددة لكل ناقد من قدامى النقاد تبيّن مواقفهم النقدية الإيجابية من الشعر المحدث. القسم الثاني: يشمل نصوصاً نقدية تمثل آراء النقاد من نهاية القرن الثاني الهجري إلى نهاية معالجة قضية التجديد في الشعر العباسي.

* **نتيجة البحث**: ثبت أنّ قدامى النقاد لم يتعصبوا ضد الشعر المحدث، بل أعجبهم كثير منه. ثم إنّ النقاد القدماء لم تنحصر آراؤهم النقدية في هذه اللّجاجة، وإنما أطلقوا أحكاماً نقدية تقوم على معايير فنية في الحكم على الشعر قديمه وحديثه.

---

[*] قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق.

تعدُّ قضية القديم والجديد في الإبداع الشعري واحدة من القضايا النقدية المهمة التي عالجها النقاد القدماء، فهي ظاهرة عالمية لا تقتصر على شعرنا العربي، ولا يخلو منها إبداع شعري، إذ ترتبط بصيرورة الزمن المفتوح على كلّ جديد ((وكلّ قديم من الشعراء، فهو محدث في زمانه فضلاً عمن كان قبله))[1].

عرف الشعر العباسي نقلة نوعية في مضمار التجديد الشعري، مواكباً بذلك مجمل التطورات الثقافية والاجتماعية والسياسة التي حصلت في ذلك العصر؛ فبرزت موضوعات شعرية جديدة، واخترعت أوزان وقوافٍ لم تكن معروفة من قبل، وتجددت اللغة والأساليب الشعرية؛ فأخذ الشعراء يكثرون في أشعارهم من الجناس والطباق والاستعارة وغيرها من الأنواع التي تدخل تحت اسم البديع.

هذه الفنون البديعية التي جاء بها الشعراء القدماء فطرة ودون تعمد، قصدها الشعراء المحدثون في أشعارهم حتى غدت ظاهرة فنيّة غيّرت ملامح أسلوب الخطاب الشعري، فظهرت مدرسة شعرية جديدة،يأتي على رأسها بشار بن برد و أبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو تمام.

ومن الطبيعي أن يختلف قدامى النقاد قرباً وبعداً حول هذا الجديد –وهذا ما سيبرزه البحث لاحقاً –ولكن الإشكالية تبدو في مواقف المهتمين المعاصرين أصحاب الدراسات الحديثة الذين ضخموا هذا الاختلاف بين قدامى النقاد والجديد من الشعر، فأوصلوا الصراع إلى درجة القطيعة بين النقاد اللغويين والشعر المحدث.

أكد طه أحمد إبراهيم أكثر من مرة انحياز اللغويين جميعاً للشعراء القدماء وتعصبهم على المحدثين، قال: ((وأخص الناس الذين كانوا يتعصبون للقدماء، ولا يكادون يقرون بإحسان لمحدث هم النحويون واللغويون... فأبو عمرو بن العلاء

---

[1] - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت لبنان - دار الجيل ، ط: 4، 1972م ،ج 1/ ص90.

شيخهم وأسنهم كانت ذهنيته جاهلية، وتعصبه شديدا للجاهليين، فلا يرى الشعر إلا لهم، ولا يرى من بعدهم شيئاً))[1]

كذلك ذهب الدكتور محمد مندور إلى أن علماء اللغة قد تحزبوا للشعر القديم ((لقدمه ورفضهم الحديث لحداثته))[2]

أمَّا د. شوقي ضيف فلا يشك ((في أنّ إهدار اللغويين لشعر العباسيين بسبب حداثته خطأ في التقويم، إذ الجودة الفنية لا تقاس بالقدم والحداثة))[3] وهو بذلك يرى أن اللغويين قد أسقطوا الشعر العباسي، ولم يعدُّوه شيئاً.

وقد قسم د.محمد مصطفى هدارة النقاد القدماء إلى فريقين مختلفين ((فقد وُجِدَ فريقان يختلفان حول الشعر العربي: فريق يتشبث بالماضي بكل ما له من قوة، ويحارب التطور الجديد، ويتمثل هذا الفريق في رواة الشعر وعلمائه. والفريق الآخر ينزع إلى التجديد ليتكيف مع الحياة الجديدة، ويتمثل في بعض الشعراء الذين كانت عندهم الشجاعة الكافية للثورة على القديم، والاصطدام بالرواة وهم الفئة المهيمنة إذ ذاك على أذواق الناس وفهمهم لطبيعة الشعر))[4].

وترى الدكتورة هند حسين طه أن الخصومة قد اشتدت ((وكان هذا بالضرورة موضع اختلاف بين النقاد في أيهما أحسن، الشعر القديم بقوته وجزالته ووضوحه

---

[1] - تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ،طه أحمد إبراهيم، بيروت – المكتبة العربية ،1401 ه -1981م ،ص 101و102.

[2] - النقد المنهجي عند العرب، د. محمد مندور. القاهرة، دار النهضة مصر للطبع والنشر، 1972م، ص 81.

[3] ــ العصر العباسي الأول ، د.شوقي ضيف. القاهرة – دار المعارف ،1966م ،ط 8، ص 141.

[4] - ــ مشكلة السرقات في النقد العربي، د.محمد مصطفى هدارة. بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي، 1401 هـ– 1981م، ط3/ص237. وانظر: مقالات في النقد الأدبي، د.محمد مصطفى هدارة، بيروت، دار القلم ،1964م ، ص58.

وطبعه، أم الشعر الحديث الذي هو في كثير من الأحيان غير ذلك. وكان اللغويون والنحويون في مقدمة المتعصبين للشعر القديم لأنه العنصر البارز في ثقافاتهم، ولأنهم كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الأعراب، وقد يأخذونها من البادية، ولذلك كانوا لا يحفلون لشعر المحدثين، لبعده عن أذواقهم، ولذا رفضوا المولدين كافة سواء أكانوا من الفحول أم من عامة الشعراء))[1].

هذه نماذج من دراسات المهتمين المعاصرين، تقوم في جوهرها على اتهام الرواة والنقاد اللغويين بالتعصب ضد شعر الشعراء المحدثين. وهي تقوم على قراءة أحادية الجانب لقليل من النصوص القديمة التي تنسب إلى قدامى النقاد من أمثال أبي عمرو بن العلاء(ت 154هـ) وخلف الأحمر (ت180 هـ) وأبي عبيدة (ت209 هـ) والأصمعي (ت215 هـ) وابن الأعرابي (ت 321 هـ).

أهم النصوص التي اتكأ عليها المهتمون المعاصرون:

يقول ابن رشيق معبراً عن هذا الاتجاه: ((وكان أبو عمرو بن العلاء لا يعدُّ الشعر إلا للمتقدمين. قال الأصمعي جلست إليه ــ يقصد أبا عمرو بن العلاءــ ثماني حجج فما سمعته، يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحدا: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه: كالأصمعي وابن الأعرابي –أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم – وليس ذلك لشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة))[2].

---

[1] - النظرية النقدية عند العرب، د.هند حسين طه. بغداد، وزارة الثقافة والإعلام العراقــي، 1981م، ص 211.

[2] ــ العمدة، ج1/ ص90 و91

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن ميمون بن طائع، قال:سمعت الأصمعي يقول: ((حضرنا مأدبة ومعنا أبو محرز خلف الأحمر وحضرها ابن مناذر فقال لخلف الأحمر: يا أبا محرز، إن يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير، قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة: فقس شعري إلى شعرهم ،واحكم فيها بالحق، فغضب خلف ثم أخذ صفحة مملوءة مرقاً فرمى بها عليه))[1].

ولابن مناذر نفسه قصيدة عارض بها أبا زبيد الطائي((ويقال: إنه قال لأبي عبيدة: احكم بين القصيدتين واتق الله ولا تقل: ذاك متقادم الزمان، وهذا محدث متأخر، ولكن انظر إلى الشعر واحكم لأفصحهما وأجودهما))[2].

ومن النصوص المشهورة التي رويت قول ابن الأعرابي: ((إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره مثل الريحان يشم يوماً ويذوي، ثم يرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر، كلما حركته ازداد طيباً))[3].

هذه النصوص تبرز مسألتين نقديتين سلبيتين أظهرهما قدامى النقاد في شعر المحدثين: الأولى قضية التفاوت الشعري، والثانية سرعة زوال أثر هذه الأشعار عند المتلقين. وفي حقيقة الأمر لا تشكل هذه النصوص قراءة كاملة دقيقة تعبر عن مواقف قدامى النقاد اللغويين تجاه الشعر المحدث.

فقد ورد في النصوص السابقة أن أبا عمرو بن العلاء لا يعدُّ الشعر إلا للشعراء الجاهليين وهو في حقيقة الأمر كان يتابع أشعار الإسلاميين، ففي رواية عن

---

[1] - ــ الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني. ت: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، مجلد:9، جزء:18، ص 372.

[2] ــ طبقات الشعراء ، ابن المعتز. ت: عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ، دار المعارف ،1375ه - 1956م، ط 4 ، ص 122.

[3] - الموشح ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ،ت: علي محمد البجاوي ،دار نهضة مصر ،مصر الجديدة ،1385ه-1965م ،ص348.

الأصمعي قال: ((سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول لقيت الفرزدق في المربد فقلت يا أبا فراس، أحدثت شيئاً، قال: فقال: خذ ثم أنشدني

كم دون ميّة من مستعملٍ قذَفٍ   ومن فَلاة بها تُستودَع العِيسُ

قال: فقلت: سبحان الله هذا للمتلمِّس))[1]

وقد وازن أبو عمرو بن العلاء بين شاعرين إسلاميين ، وقدّم أحدهما على الآخر. ((فقد سئل عن الراعي النميري و أبي حية النميري، فقال:الراعي أكبرهما قدراً وأقدمهما))[2]

وكذلك يشترك كل من خلف الأحمر وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي في رواية شعر الإسلاميين، قال الأصمعي : ((قرأت على خلف الأحمر شعر جرير، فلما بلغت قوله:

فيا لك يوماً خيره قبل شرّه   تغيّب واشيه وأقصر عاذله

فقال: ويله ! وما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ قلت له: هكذا قرأته على أبي عمرو. فقال لي:

صدقت، وكذا قاله جرير؛ وكان قليل التنقيح مشرّد الألفاظ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع. فقلت: فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال: الأجود له لو قال:

*فيا لك يوماً خيره دون شرّه *

فاروه هكذا؛ فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء.فقلت: والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا))[1].

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 176.

[2] - المصدر نفسه ،ص250. وانظر: المصدر نفسه، ص287.فقد قدم أبو عمرو بن العلاء الراعي على ذي الرمة.

وأبو عمرو بن العلاء ساوى بعض الشعراء الإسلاميين بالجاهليين في قضية الاحتجاج اللغوي. قال: ((عمر بن أبي ربيعة حجة في العربية، وما تعلق عليه إلا بحرف واحد قوله:

ثم قالوا تحبها قلت بهراً   عدد القطر والحصى والتراب

وكان ينبغي أن يقول: أتحبها؛ لأنه استفهام))[2].

وأبو عمرو بن العلاء يفضل أبياتاً لابن الخياط وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، ويقدمها على كل ما قيل من شعر في غرض المديح.

((قيل لأبي عمرو بن العلاء: من أمدح الناس ؟ قال: الذي يقول[3]:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى   ولم أدر أن الجود من كفه يعدُّي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى   أفدت وأعداني فبذرت ما عندي))[4]

وهو في الوقت نفسه يرى أن جريراً قد برز على الناس جميعاً في معاني المديح والفخر والهجاء.

((قال أبو عمرو بن العلاء: وأما المديح فبرز فيه جرير على الناس في قوله:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح[1]

---

[1] - المصدر السابق ص 198 و 199.

[2] - الموشح، ص 315.

[3] ــ ابن الخياط هو عبد الله بن سالم بن يونس، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية. الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت المكتبة العلمية، ت 1363 ه – 1944م، ص 62.والصناعتين،أبو هلال العسكري، تح: د. مفيد قمحة، بيروت دار الكتب العلمية 1409ه-1989م، ط2، ص 221.

[4] - نور القبس المختصر عن المقتبس، المرزباني، تح: رودلف زيلهايم، طبعة دار بيروت للنشر والتوزيع، ت 1964م ، ص 68.

فأما الافتخار فيسبق الناس إليه جرير في قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابـــــــا[2]

وأما الهجاء فبرز فيه جرير على الناس في قوله:

فغض الطرف إنَّك من نمير فلا كعباً بلغــت ولا كلابـــــــا))[3]

وقد تجاوز أبو عمرو بن العلاء بالنقد الشعراء الإسلاميين إلى المحدثين،فقد سئل: من أبدع الناس بيتاً ؟- والمراد الغزل – فقال: ((الذي يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيفٌ ألـــم

وفي الخبر نفسه، سئل: من أغزل الناس بيتاً ؟ قال: الذي يقول:

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

والبيتان لبشار بن برد))[4]

وهو يحكم حكماً إجمالياً على شعر الإسلاميين ويصفه بالحسن ، يقول:((لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته ، يعني بذلك شعر جرير و الفرزدق، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والإسلام))[5]

وهكذا نرى- من خلال ما تقدم من نصوص نقدية - أنّ أبا عمرو بن العلاء لم يتوقف عند أشعار الجاهليين في الرواية والنقد؛ وإنما تجاوز ذلك إلى أشعار

---

[1] - المصدر نفسه ،ص27.

[2] - ـــ المصدر نفسه ،ص27.

[3] - المصدر السابق ،ص27.

[4] - المصدر نفسه ،ص28.

[5] - العمدة ، ج 1/ص90.

الإسلاميين، بل قدم أول الشعراء المحدثين ورأسَهم بشار بن برد في غرض الغزل على كل الشعراء.

وأمَّا الأصمعي فقد ختم الشعر بابن هَرمَة، قال:((ختم الشعر بابن هرمة، فإنه مدح ملوك بني مروان، وبقي إلى آخر أيام المنصور))[1].

وهو في الوقت نفسه الذي يصرح فيه بذلك ،نراه يتابع أشعار المحدثين، ويشيد ببعضهم فهو يوازن بين شاعرين محدثين مقدماً أحدهما على الآخر، فقد قدم بشار بن برد على مروان بن أبي حفصة، فقال:((بشار يصلح للجد والهزل، ومروان لا يصلح إلا لأحدهما))[2] كما أنه يقدم نصيب الأصغر على عبد بني الحسحاس في عصره ويساويه بنصيب الأكبر. فقد سأل الهلالي الأصمعي: ما تقول في شعر الأسود؟ وهو يقصد نصيب الأصغر، قال: ((هو في عصرنا هذا أشعر من عبد بني الحسحاس في عصره.قلت: فأين شعره من شعر نُصَيب - الأكبر - ؟ قال: هما في قَرَن واحد، لأن نمطهما نمط واحد ولكن ذاك متقدم الزمان وهذا محدث))[3].

وكذلك أعلن الأصمعي إعجابه بشعر أبي نواس، فقد روى أن الوزير الفضل بن يحيى طرب إلى مذاكرته...، ومما قاله الأصمعي في أثناء هذه المذاكرة: ((فلم أتمالك أن قلت: قاتل الله أبا نواس حيث يقول:

إذا ما أتت دون اللَّهاةِ من الفتى دعا هَمُّه من صدره برحيلِ

فقال الفضل: هذا البيت له؟ قلت: نعم يا سيدي، قال: وليس إلا هذا البيت الواحد؟

---

[1] - طبقات الشعراء، ص 20.

[2] - الموشح ،ص 392.

[3] - طبقات الشعراء ، ص155

قلت: أعز الله الوزير، هي أبيات.قال: هاتها، فأنشدته:

وخيمـــةِ ناطور برأس مُنيفـــة تَهُـمُّ يدا مَنْ رامَها بزليـــل

إلى قوله:

ألم تر أن المال عَونٌ على النَّدى وليـــس جوادٌ مُعْدِمٌ كبخيل

قال: قاتله الله ما أشعره، يا غلام: أثبتها. ثم قال: أما والله لولا قالة الناس فيه ما فارقني، ولكن إذا فكرت فيه وجدت الرجل ماجناً خليعاً متهتكاً ألوفاً لحانات الخمارين فأترك نفعه لضره. فقلت: أصلح الله الوزير إنه مع ذلك بمكان من الأدب، ولقد جالسته في مجالس كثيرة، قد ضمّت ذوي فنون من الأدباء والعلماء، فما تجاروا في شيء من فنونهم إلا جاراهم فيه، ثم برز عليهم، وهو من الشعر بالمحل الذي قد علمته، أليس هو القائل:

ذكرتـــم من الترحال يوماً فغمَّنا فلو قد فعلتم صبَّح الموت بعضنا

إلى قوله:

قلائص لم تعرف كلالاً على الوَجَى ولم تدر ما قرْع الفنيق ولا الهِنَا

قال الفضل: قد عَرَّفتُكَ أنه لولا ما هو بسبيله من هذا الفتك ما فاتني قربه ومعاشرته))[1].

ويشير الخبر السابق إلى أن الأصمعي كان معجباً بشعر أبي نواس، وفي النص إشارة إلى أنه قد حكم على شعر أبي نواس حكماً فنياً، فقدم أسلوبه على كثير من الشعراء أقرانه، ولم يتخذ من المعيار الأخلاقي وسيلة في الانتقاص منه كما فعل الوزير الفضل بن يحيى.

---

[1] - المصدر السابق ، ص 215و216و217

وكذلك فقد استحسن الأصمعي بعض شعر أبي العتاهية على الرغم مما فيه من سمات تجديدية كالليونة وغيرها. حدَّث الرياشي، قال: ((سمعت الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية:

أنت ما استغنيت عن صا   حبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه   ساعةً مجَّك فوه))(1).

وقد قيل للأصمعي: ((ما أحسن ما تحفظ للمحدثين؟ قال قول العباس بن الأحنف:

لو كنتِ عاتبةً لسَكّنَ روعتي   أملي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُرّاقِبِ
لكن مللتِ فلم تكن ليَ حيلةٌ   صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتب))[2]

وهو - كذلك - ينشد أبياتاً متفرقة من قصائد متعددة للعباس بن الأحنف، ويقول فيها: هذا والله مالا يقدر أحدٌ على أن يقول مثله أبداً[3]

كما أن الأصمعي رأى جودة وحسناً في شعر العماني. قال ((: كان العماني شاعراً قديماً مفلقاً مطبوعاً مفيداً، وكان جيد الرجز والقصيد غير أن الأغلب عليه الرجز، وكان يصف الفرس فيجيد ويحسن))[4].

وهكذا نرى أن الأصمعي لم يقف موقفاً سلبياً من شعر المحدثين، وإنما اتخذ الجودة معياراً فنيّاً في الحكم على أشعارهم، ومن ثمة تفضيلهم.

أمَّا أبو عبيدة فقد سأله التوّزي عن شعر الحسين بن مُطَير ، وهو شاعر محدث ، فأجاب: ((إنه ليقع من شعره الشيء بعد الشيء فيكثر تعجبي من كثرة بدائعه ،فإذا لقيته فأعلمه أن شعره من أعجب الشعر إليّ))[5].

---

1 ـ الأغاني ،مجلد 2،جزء 4، ص267.

[2] ـ المصدر نفسه،مجلد 4 ،جزء 8، ص468.

[3] - المصدر نفسه،مجلد 4،جزء 8، ص469.

[4] - طبقات الشعراء ، ص110.

[5] - المصدر السابق ،ص 114.

ومما يدلل على متابعته شعر المحدثين، قوله:((أشعر المحدثين السيّد الحميريّ وبشار))[1].

وهو في مكان آخر يوازن بين بشار بن برد ومروان بن أبي حفصة، أيهما أشعر؟ فقال: ((حَكَمَ بشار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد، ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية و الإسلام هذا العدد، وما أحسبهم برّزوا في مثلها، ومروان أمدح للملوك))[2].

وابن الأعرابي الذي روي له ازدراؤه شعر المحدثين، فإنه كان على صلة بشعرهم، بل إنه قدم أبياتاً للشاعر أبي نواس في المديح على كل أشعار المحدثين. قال: ((أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس:

أخذتُ بحبلٍ من حبال محمــدٍ أمِنْتُ به مــن طـــارقِ الحدَثَانِ
تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليـــس يراني
فلو تسأل الأيامُ عنيَ ما دَرَت وأين مكاني ما عرفْنَ مكانـــي))[3]

وكان ابن الأعرابي معجباً بشعر أبي العتاهية أشدّ الإعجاب؛ فقال له رجل: ((ما شعر أبي العتاهية بمُستحق لما قلت. قال: ولم؟ قال:لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابيّ-وكان أحدَّ الناس-: الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية، ألأبي العتاهية تقول: إنه ضعيف الشعر! فو الله ما رأيت شاعراً قط أطبع ولا أقدر / على بيت منه، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر، ثم أنشد له:

---

[1] ـــ الأغاني ،مجلد 4، جزء 7،ص 169.

[2] - المصدر نفسه ،مجلد 2، جزء 3، ص 101.

[3] - زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، ضبط وشرح المرحوم د. زكي مبارك. بيروت ، دار الجيل ، ط4 ، ج 4/ ص 1160.

قطَّعتُ منك حبائلَ الآمال وحَطَطتُ عن ظهر المَطيّ رحالي

إلى قوله:

واصبر على غير الزّمان فإنّما فرجُ الشّدائد مثلُ حلّ عِقال

ثم قال للرجل:هل تعرف أحداً يحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءك! إني لم أَرْدُدْ عليك ما قلت، ولكن الزهد مذهب أبي العتاهية، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد. فقال: أفليس الذي يقول في المديح:

وهارونُ ماءُ المُزْن يُشْفَى به الصَّدَى إذا ما الصَّدِي بالرِّيق غصَّت حناجرُه

إلى قوله:

ومن ذا يفوت الموتَ والموتُ مُدرِكٌ كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافره

قال: فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابي بأن قال له:القول كما قلت ، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين، وكتبهما عنه))[1].

هذه نماذج نقدية لقدامى النقاد، تثبت أن النصوص القليلة التي تمسك بها المهتمون المعاصرون لم تشكل قراءة دقيقة لمواقفهم، وإنما كانت قراءة تقوم على التعميم والمبالغة في تصوير تعصب النقاد القدماء للشعر القديم ورفضهم الشعر المحدث.

وهذا لا ينفي اهتمام قدامى النقاد بالشعر الجاهلي وحرصهم عليه، وهم يقصدون قضية الاحتجاج اللغوي، كي يفهم المفسرون ما يشكل عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وأساليبه. والاحتجاج في الوقت نفسه ((لا يتناول جودة الشعر أو رداءته، ولا

---

[1] - ــ الأغاني ،مجلد 2،جزء 4 ،ص 269 و 270.

موضوعه، بل ينصرف إلى سلامة السليقة، وصحة الطبع))[1] وجزالة اللغة واستقامتها وصحتها. وكان قد سبقهم الصحابة إلى ذلك، قال ابن عباس: ((إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب. وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً))[2].

((هذه الثروة الشعرية التي يحفظها ابن عباس جعلته يوثق التفسير بالشعر، فما من كلمة أو آية إذا احتيج إلى فهم معانيها وتفسير مفرداتها إلا استشهد عليها ببيت أو أبيات من الشعر وكان هو رائد الطريقة اللغوية الشعرية في تفسير القرآن الكريم، يقول جولدزيهر بأنه: الذي نمّى الطريقة اللغوية في تفسير القرآن)) (3).

وعبد القاهر الجرجاني يؤكد أهمية الاحتجاج اللغوي في فهم النص القرآني وإعجازه، يقول: ((إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهياً إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يشك أنه ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيهما قصب الرهان، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض؛ كان الصاد عن ذلك صادّاً عن أن تعرف حجة الله تعالى))[4]. إن قضية الاحتجاج اللغوي تشير بوضوح إلى أن الخطاب

---

[1] - فحولة الشعراء عند الأصمعي، د. عبد الكريم محمد حسين. دمشق - دار كنان 2004 -2005م، ط 1، ص93

[2] العمدة ،ج1، ص30.

3 ـــ المستشرقون و الشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق ، د. يحيى وهيب الجبـــوري. بيـــروت – دار الغرب الإسلامي ،1997م ، ط 1، ص 172.

[4] - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني. تصحيح السيد محمد رشيد رضا ، بيروت – دار المعرفة ،1398ه- 1978م، ص 7.

الشعري يخدم الخطاب الديني، ومن هنا أتى حرص قدامى النقاد من اللغويين والرواة على الشعر القديم،فأبو عمرو بن العلاء قصر الاحتجاج على الشعر الجاهلي، والأصمعي قبل الاحتجاج حتى نهاية الشعر الإسلامي. والسؤال المطروح هل قبلوا كلّ الشعر الجاهلي والإسلامي؟

هذه الوظيفة للشعر أدت إلى عدم الاحتجاج بشعر بعض الشعراء الجاهليين، وذلك لأسباب مكانية وثقافية.قال الأصمعي: ((عدي بن زيد و أبو دُواد الإيادي لا تروى أشعارهما؛ لأن ألفاظهما ليست بنجدية))[1].

والسبب يعود كما قال ابن سلام: ((كان عدي بن زيد يسكن الحيرة ويراكن الريف، فلان لسانه، وسهل منطقه، فحمل عليه شيء كثير وتخليصه شديد))[2].

والأصمعي قبل شعر الإسلاميين، ولكنه لم يقبل شعر الطرماح. فقد أخبر أبو عمرو بن العلاء، فقال: رأيته بسواد الكوفة يكتب ألفاظ النبيط فقلت: ما تصنع بهذه؟ قال: أعْرِبُها وأدخلها في شعري))[3].

هذه بعض الأخبار النقدية التي تشير بوضوح إلى موضوعية هؤلاء اللغويين، فهم لم يقبلوا كل الشعر الجاهلي والإسلامي في قضية الاحتجاج اللغوي، فالنمط ليس واحداً، وإنما كانوا يبحثون وراء الشاهد اللغوي الذي يتسم بالنقاء والصفاء والقوة،وقوته ببداوته وابتعاده عن كل المؤثرات الثقافية الجديدة التي طرأت على المجتمع الإسلامي، وكذلك في تلك المؤثرات المكانية التي كانت موجودة في المدن في أثناء العصر الجاهلي وتأثر بعض الشعراء الجاهليين بها.

---

[1] ــ الموشح، ص 104.

[2] ــ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي. تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القــاهرة ، تا:1974م ، ج1/ص138.

[3] - الموشح ،ص327.

وهي في الوقت نفسه تنفي ما ذهب إليه المهتمون المعاصرون من تعصب أبي عمرو بن العلاء لشعر الجاهليين عامة وقبول الأصمعي لكل شعر الجاهليين والإسلاميين.

وبعد الذي تقدم من آراء نقدية لقدامى النقاد...؛ هل يمكننا أن نقبل دعوى المهتمين المعاصرين بتعصب خلف الأحمر وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي ضد شعر المحدثين؟ تكمن الإجابة فيما نستنتجه من ملاحظات:

- إنّ اللغويين لم يقبلوا شعر القدماء عامة وإنما رفضوا منه ما لا يناسب الشاهد اللغوي في قضية الاحتجاج اللغوي.
- إنّ اللغويين لم يرفضوا شعر المحدثين كافة، فقد أعجبوا بكثير من أشعارهم، ولاسيَّما تلك الأشعار التي ارتقت في مستواها الفني.
- كان معيار جودة الشعر قديمه وحديثه هو المقياس عند النقاد اللغويين على الصعيد النقدي.

ومن خلال ما توصلنا إليه في الإجابة عن السؤال؛ نؤكد موضوعية هؤلاء النقاد في عدم تعصبهم على الصعيد الفني ضد الشعر المحدث. وإنما هي اللَّجَّة التي رددها المهتمون المعاصرون مثلما تناقلها بعض النقاد القدامى.

وينتهي القرن الثاني، ويكاد يمضي معه معظم قدامى النقاد المهتمين بقضية الاحتجاج اللغوي، وتبرز مرحلة جديدة، يتطور فيها النقد، وتتعدد قضاياه؛ وتبقى قضية التجديد من القضايا البارزة في حركة النقد العربي القديم.

ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى اتجاهين: الاتجاه الأول: يمثله الرعيل الثاني من اللغويين؛ والاتجاه الثاني: يمثله عموم النقاد. الاتجاه الأول: يمثله الرعيل الثاني من اللغويين والنحاة؛ و لقد حذا هؤلاء حذو قدامى النقاد في مسألة الشاهد اللغوي، أمَّا

على صعيد المعنى فقد تطور موقفهم فلم يعدُّ الشعر المحدث مجرد إعجاب بتلك القصيدة أو ذلك البيت وتفضيلهما على غيرهما من الشعر كما هو عند قدامى النقاد اللغويين، وإنما أصبح الشعر المحدث مساوياً للشعر القديم في الشاهد المعنوي. وهو ما عبَّر عنه ابن جني بقوله: ((المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ))[1].

فالمبرد (ت 285هـ) الذي رأى في شعر المحدثين ((إسراف وغلو وخروج عن المقدار))[2] نراه يستشهد بأشعار المحدثين في سمة فنية تعدّ جوهراً من جواهر الشعر. ففي باب التشبه، قال: ((ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار:

كأنّ فؤادهُ كُــرَةٌ تُنزّى　　حِذَارَ البين إن نَفَعَ الحِذارُ
يروّعهُ السِرارُ بكل أمرٍ　　مَخَافَةَ أن يكون به السِرارُ))[3]

وكذلك في مكان آخر يستحسن التشبه في شعر بشار، قال: ((ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار:

وكأنّ تحتَ لسانها　　هاروتَ يَنْفث فيه سِحْرا
ونَخالُ ماجَمَعَتْ عليه　　بَنانَهــا ذَهَبــاً وعِطرا

وهذا التشبيه الجامع، ونظيره في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لــك))(4).

ويتابع استشهاده بحسن التشبيه عند المحدثين بقوله: ((ومن حسن التشبيه، من قول المحدثين، قول عباس بن الأحنف:

---

[1] - العمدة ، ج2/ص236

[2] ـــ الموشح ، ص 456.

[3] - الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المُبرِّد. بيروت، مكتبة المعارف،دون تاريخ، ج2/ص50

4 - المصدر نفسه، ج2/ص112.

أُحرَمُ منكم بما أقولُ وقد   نالَ به العاشقونَ منْ عَشِقوا
صِرْتُ كأني ذبالة نُصبَتْ   تُضيءُ للناس وهي تَحْتَرِقُ

فهذا حسن في هذا جدا. ومن حسن ما قالوا قول إسماعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد:

أمينَ اللهِ أمْنكَ خَـــيْـــرُ أَمْنٍ   عليك من التقَى فيه لباسُ
تُساسُ من السَّماءِ بكلّ فَضْلٍ   وأنتَ به تَسوسُ كما تُساسُ
كأنَّ الخلْقَ رُكّبَ فيـــه رُوحٌ   له جَسَـــدٌ وأنتَ عليه راسُ))[1]

ولم تكن جودة التشبيه في شعر أبي نواس غائبة عن خيال المبرد،قال: ((ومن التشبيه الجيد قوله: أي أبي نواس الحسن بن هانئ:

فكأني بما أزَيّنُ منها   قَعديٌّ يزيّنُ التَّحكيما))[2]

ولم يقلل اللحن اللغوي في شعر المحدثين من قيمة التشبيه عند المبرد، قال: ((وحُدِّثْتُ أن العمانيَّ الراجز أنشد في صفة فرس:

كـــأنَّ أُذْنَيْهِ إذا تَشَوَّفا   قادمـــةً أو قلَماً مُحَرَّفا

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن و لم يهتد منهم أحد لإصلاح البيت إلا الرشيد فإنه قال له قل: (تخال أذنيه إذا تشوفا) والراجز، وإن كان لحن فقد أحسن التشبيه)) (3).

والمبرد يقدم أبا نواس على كل الشعراء في معنى من المعاني((حيث إنّ الخليفة تشدد عليه في شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبساً طويلاً فقال:

---

[1] - المصدر السابق،ج2/ ص113

[2] - المصدر نفسه، ج2/ص 108.

3 ـ المصدر نفسه، ج2/ص109.

أيَّهــا الرائحان باللّوم لُوما   لا أذوق المدام إلا شميمـــــا
نالَني بالمَلام فيها إمـــامٌ   لا أرى لي خلافَهُ مُستقيمــا
فاصرِفاها إلى سِوايَ فإني   لست إلا على الحديث نديما
كُبْرُ حَظّي منها إذا هي دارت   أن أراها وأن أشـــمَّ النسيما
فكأني بما أُزَيِّنُ منهـــا   قعَـــديٌّ يـــزيِّـــنُ التحكيما
لم يُطِقْ حَمْلَهُ السلاحَ إلى الحر   ب فأوصى المُطيق الا يُقيمــا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد))[1].

هذه نماذج نقدية تؤكد حرص المبرد على الاستشهاد بشعر الشعراء المحدثين في مجال التشبيه؛ وهي في الوقت نفسه تؤكد الأهمية المعيارية النقدية للصورة الشعرية في مخيلة اللغوي المبرد ، لأنها تشكل مقوماً أساسياً من مقومات الإبداع الشعري .

الاتجاه الثاني: يمثله نقاد جدد، لم تكن غايتهم الشاهد اللغوي، بل الحكم على الشعر كلَّه قديمه و حديثه من خلال مقاييس نقدية جوهرها الرداءة و الجودة. فالجاحظ (ت255هـ) يعدُّ الجودة مقياساً في الحكم على الشعر؛ ففي أثناء موازنته بين شعر العرب والمولدين، قال: ((والقضية التي لا أحتشِمُ منها، ولا أهاب الخصومة فيها: أنَّ عامَّة العرب والأعراب والبدوِ والحضَر من سائر العرب، أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى، من المولّدة والنابتة. وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه. وقد رأيت ناساً منهم يبهرِجون أشعار المولّدين، ويستسقطون من رواها. ولم أر ذلك قطُّ إلا في روايةٍ للشعر غير بصيرٍ بجوهر ما يروى. ولو كان له بصرٌ لعرف موضع

---

[1] - المصدر السابق ، ج2/ ص 108.

الجيد ممن كان ، وفي أيّ زمان كان)[1] وهو يخص شعر أبي نواس بالتفضيل: ((إن تأملت شعره فضلته، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء. فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل، ما دمت مغلوباً))[2].

وفي مكانٍ آخر قدم الجاحظ أبا نواس على مهلل، قال: ((وأبيات أبي نواس على أنه مولّد شاطرٍ أشعر من شعر مهلهلٍ في إطراق الناس في مجلس كليب))[3].

تشير النصوص السابقة إلى مذهب الجاحظ في الحكم على جودة الشعر، فالجودة الشعرية ليست مرتبطة بجيل دون جيل، ولا بزمان دون زمان، و يدعو إلى قراءة نقدية متأنية، يرفض من خلالها الأحكام العامة على أشعار المولّدين، لأنها تعدل الشيء عن حقيقته، وهو يرى أن بعض أشعار المحدثين تقارب أشعار القدماء بل قد يتفوق شاعر محدث في معنى من المعاني على شاعر قديم كتفوق أبي نواس على مهلهل في معنى إطراق الناس.

إنّ الذي تقدم يثبت أن الجاحظ يقصد الجيد من الشعر المحدث، ومما يؤكد ذلك متابعة موقف الجاحظ في هذه المسألة؛ فعندما فرق بين المولّد والأعرابي، قال: ((إنّ الفرق بين المولّد والأعرابي: أنّ المولّد يقول بنشاطه وجمع باله، الأبيات اللاحقة بأشعار البدو، فإذا أمعن انحلّت قوّته، واضطرب كلامه))[4] .

---

[1] ــ الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تح: عبد السلام محمد هارون ، شـركة مكتبـة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر ، 1385 ه – 1965م ، ط2 ،ج 3 /ص 130.

[2] - المصدر نفسه ، ج2/ص27.

[3] ــ المصدر نفسه ، ج3/ص129.

[4] ــ المصدر السابق ،ج 3/ص132

وهكذا نرى أنّ الجاحظ يساوي بين الشعر المحدث الجيد والشعر القديم،وإن معيار الجودة وحده هو المقياس في الحكم على الشعر.

ونصّ ابن قتيبة (ت276هـ) على المساواة بين القدماء والمحدثين، قال: ((ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخّر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلاً حظه، ووفرت عليه حقّه. فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره، وكلَّ شرفٍ خارجيَّةً في أولّه، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدُّون محدثين. وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته. ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد عنهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخريمي والعتابي والحسن بن هانئ وأشباههم. فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنّه. كما أن الردىء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه))[1].

تكمن أهمية رؤية ابن قتيبة في اتخاذ مبدأ الجودة الشعرية معياراً في الترجمة للشعراء بغض النظر عن زمانهم.

ولعلّ هذا النص هو الذي ولّد فكرة الحديث عن الصراع بين قدامى النقاد والشعر المحدث عند المهتمين المعاصرين.

---

[1] الشعر والشعراء، ابن قتيبة. تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، تا:1966م،ج1/ ص62و63

فالنص يصرح بإغضاء أبي عمرو بن العلاء عن شعر الإسلاميين إغضاء كليّاً، وأعتقد أنّ الذي تقدم في موقف أبي عمرو بن العلاء يشير إلى غير ذلك؛ ألم يتابع أبو عمرو أشعار الفرزدق؟ ألم يقدم جريراً في بعض الأغراض الشعرية على الشعراء؟ ألم يجعل شعر عمر بن أبي ربيعة حجة في العربية؟ ألم يتجاوز حتى هؤلاء الإسلاميين إلى المحدثين، فيقدم بشار بن برد في غرض الغزل.

وتتفق رؤية علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت366هـ) مع ابن قتيبة في المساواة بين القديم والحديث، قال: ((إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدُّرْبة مادةً له، وقوة لكل واحد من أسبابه؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرِّز؛ وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان، ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمخضرم، والأعرابي والمولّد))[1].

ويهتم ابن طباطبا (ت322هـ) بشعر المولّدين، فيشير إلى استفادة الشعراء المولّدين ممن تقدمهم من الشعراء كما يثني على حسن نظمهم ((وسنعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم، ولطفوا في تناول أصولها منهم، ولبّسوها على من بعدهم، وتكثّروا بإبداعها فسلمت لهم عند إدعائها للطيف سحرهم فيها، وزخرفتهم لمعانيها))[2] .

ثم يؤكد شرطاً من شروط التناص مع النصوص القديمة، فيجب على الشاعر أن يزيد في إضاءة النص. قال: ((والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشدّ منها على

---

[1] - ــ الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني.تح:محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة الباب الحلبي ، تا:1966م، ص 15.

[2] عيار الشعر ، ابن طباطبا. تح: د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر ــــ الرياض ، تا: 1405هـ ــ 1985 م ، ص 12.

من كان قبلهم؛ لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، ولفظٍ فصيح، وحيلة لطيفة. فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك ولا يربي عليها لم يتلقّ بالقبول، وكان كالمطّرح المملول))[1].

وهو يشيد بالشعراء المولّدين، فيقول:

((والشعراء في عصرنا إنما يثابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يغْربونه من معانيهم، وبليغ ما ينظمونه من ألفاظهم، ومضحك ما يوردونه من نوادرهم، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم))[2].

كما يؤكد مبدأ جودة الشعر والإفادة من معاني الشعراء السابقين ((فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها وأمر بالتحرز منها، ونهي عن استعمال نظائرها. ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار وأنه يسلك سبيل من كان قبله، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها، فليس يقتدى بالمسيء، وإنما الاقتداء بالمحسن، وكل واثق فيه حجل إلا القليل))[3].

ولقد قدم الشعراء المحدثين على القدماء في حسن التخلص من معنى إلى معنى آخر، قال: ((ومن الأبيات التي تخلص بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها من مديحٍ، أو هجاءٍ، أو افتخارٍ، أو غير ذلك، ولطفوا في صلة ما بعدها بها فصارت غير منّقطعة عنها، ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم، لأن مذهب الأوائل في ذلك مذهب واحد وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير الفيافي، وحكاية ما عانوا في أسفارهم: إنا تجشمنا ذلك إلى فلان؛ يعنون الممدوح))[4] .

---

[1] - المصدر نفسه، ص 13.

[2] ـ المصدر نفسه، ص13.

[3] ـ المصدر السابق، ص 14.

[4] - المصدر نفسه، ص 184.

إنّ ما يسجل لابن طباطبا فيما تقدم له من آراء نقدية في قضية القديم والحديث:

- لم يأتِ على ذكر الصراع بين قدامى النقاد والشعر المحدث.

- نبه إلى قلة المعاني في عصر المحدثين.

- دعا إلى استفادة الشعراء المحدثين من معاني القدماء، واشترط أن تجدد هذه المعاني، وأن يكسوها الشاعر كسوة أحسن من الكسوة السابقة.

- رأى في شعر المحدثين لطف المعنى وبلاغة النظم والنسج الرائق.

- أكد بناء وحدة القصيدة، وذلك من خلال حسن التخلص من معنى إلى معنى آخر، وهو يقدم في هذه القضية الفنية المحدثين على القدماء من منظور نقدي خالص.

والحاتمي (ت388هـ) يوازن بين الشعراء القدماء والمحدثين في وحدة القصيدة واتساقها، قال: ((مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض؛ فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب، غادٍ الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه، وتعفى معالمه، وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان، حتى يقع الاتصال، ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء، وهذا مذهب اختص به المحدثون، لتوقد خواطرهم، ولطف أفكارهم، واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم وكأنه مذهب سهّلوا حَزْنَه، ونهجوا رسمه؛ فأما الفحول الأوائل، ومن تلاهم من المخضرمين والإسلاميين فمذهبهم المتعالم عد عن كذا إلى كذا))[1].

---

[1] - زهر الآداب وثمر الألباب ، ج 3 /ص651.

يلتقي الحاتمي مع ابن طباطبا في الحرص على وحدة القصيدة، وكذلك في تميز الشعراء المحدثين على القدماء في وحدة قصائدهم.

وأما الصولي (ت335أو 336هـ) فقد وازن بين القدماء والمحدثين من خلال بعض السمات الفنية التي يتميز فيها شعر كلٍّ من الفريقين، قال: ((اعلم – أعزك الله - أن ألفاظ المحدثين مذ عهد بشار إلى وقتنا هذا كالمنتقلة إلى معانٍ أبدع، وألفاظ أقرب، وكلام أرق، وإن كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء، والطبع والاكتفاء؛ وأنه لم ترَ أعينهم ما أراه المحدثون فشبهوه عياناً، كما لم يرَ المحدثون ما وصفوه هم مشاهدة وعانوه مدة دهر هم من ذكر الصحارى والبرِّ والوحش والإبل والأخبية. فهم في هذه أبداً دون القدماء ، كما أن فيما لم يروه أبداً دونهم؛ وقد بيّن هذا أبو نواس بقوله:

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرمِ

ثم يقول فيها:

تصف الطلول على السماع بها أفذو العيان كأنتَ في الفهمِ؟
وإذا وصفت الشيء متبعا لم تخل من زلل ومن وهمِ

ولأن المتأخرين إنما يجرون بريح المتقدمين، ويصبون على قوالبهم، ويستمدون بلعابهم، وينتجعون كلامهم، وقلما أخذ أحد منهم معنىً من متقدم إلا أجاده. وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها، ومعاني أومأوا إليها، فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها، وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان، والناس له أكثر استعمالاً في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم))[1].

---

[1] - أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. تح:خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام و نظير الإسلام الهندي،المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت (دت)، ص 16و 17.

كان الصولي معجباً بشعر القدماء لاختراعهم للمعاني ولسجيتهم في الإبداع الشعري، وهو في الوقت نفسه يفضل التجديد في الشعر المحدث، سواء أكان ذلك في الأساليب أم في الموضوعات، منطلقاً من فكرة تمثيل الشعر للزمن الذي قيل فيه؛ وبسبب ذلك فقد استحسن ثورة أبي نواس على المقدمة الطللية في القصيدة القديمة. وكذلك فهو يومئ إلى تقبل ذوق المتلقين للشعر المحدث؛ وهذا ما كان ابن المعتز قد استند إليه في موقفه النقدي حول هذه القضية.

ويعدُّ ابن المعتز (ت 296هـ) واحداً من الشعراء المحدثين المجيدين. وقد خصَّ الشعراء المحدثين بكتاب أسماه طبقات الشعراء، كان غرضه الأول أن يذكر ((ما وضعته الشعراء من الأشعار في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس، ليكون مذكوراً عند الناس))[1].

وقد بيّن صراحة أنه يميل إلى الشعراء المحدثين، قال: ((ولكنا لا نخرج من شرط الكتاب، لئلا يمله القارئ إذا طال عليه الفن الواحد، وليحفظ هذه النكت والنوادر والملح، وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم فإن هذا شيء قد كثرت رواية الناس له فملوه، وقد قيل: لكل جديد لذة. والذي يستعمل في زماننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم، فمن هاهنا أخذنا من كل خبر عينه ومن كل قلادة حبتها))[2].

يتضح من الخبر النقدي السابق أنّ ابن المعتز يؤكد شيوع الشعر المحدث، كما يجسد رؤية المتلقين في تذوق جماليات هذا الشعر وانعكاساته على اختياراته.

وهكذا يمكن القول: حرص قدامى النقاد على الشعر القديم، وباعثهم من ذلك النقاء اللغوي الذي يتمتع به ذلك الشعر من أجل قضية الاحتجاج. وهذا في الوقت

---

[1] طبقات الشعراء، ابن المعتز. تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، 1375ه-1956م، ط4، ص 18.

[2] - المصدر نفسه ، ص86.

نفسه لا ينفي إعجابهم بجودة شعر الشعراء المحدثين كبشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وغيرهم.

ووفق هذه الآلية في متابعة الخطاب النقدي، فقد ولّدت هذه القضية قضايا نقدية قديمة ومعاصرة في آنٍ معاً؛ كقضية التناص وقد تمثلت في أزمة المعاني عند المحدث ووضع الحلول لها، ووحدة القصيدة ، ودور المتلقي في الخطاب الإبداعي.

هذه محاولة كشفت الموقف الحقيقي لقدامى النقاد العرب من قضية تجديد الشعر في العصر العباسي، وأثبتت من خلال قراءة كاملة غير أحادية عكس ما تصوره بعض المهتمين المعاصرين من وجود قطيعة ثقافية وصلت إلى القول بفكرة التعصب بين قدامى النقاد والشعر الجديد. كما أصّل البحث لقضية التجديد في بعد تطورها التاريخي والفني في سياق الفكر النقدي العربي من خلال التماس آراء النقاد وتأويلها، وما وضعوه من مقاييس نقدية فنية في الحكم على الشعر.

المراجع والمصادر

1ـ الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني،. ت: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

2ـ الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت المكتبة العلمية، ت 1363 هـ – 1944م.

3ـ إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، بيروت – المكتبة العربية ،1401 هـ -1981م .

4ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1385هـ – 1965م .

5- الجرجاني، علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة الباب الحلبي، تا:1966م.

6- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، بيروت – دار المعرفة ،1398هـ- 1978م.

7- الجمحي، ابن سلام. طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني - القاهرة، تا:1974م.

8- الجبوري، د. يحيى وهيب. المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، بيروت – دار الغرب الإسلامي، ط1 ،1997م.

9ـ الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ضبط وشرح المرحوم د. زكي مبارك. بيروت ، دار الجيل ، ط 4.

10ـ حسين، د. عبد الكريم محمد. فحولة الشعراء عند الأصمعي، دمشق - دار كنان، ط1 ، 2004-2005م.

11- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أخبار أبي تمام،. تح: خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت (دت).

12ـ ضيف، د.شوقي. العصر العباسي الأول، القاهرة-دار المعارف، ط8 ،1966م.

13ـ ابن طباطبا. عيار الشعر، تح: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر ـ الرياض ، تا: 1405هـ ـ 1985 م.

14- طه، د.هند حسين. النظرية النقدية عند العرب، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام العراقي، 1981م.

15- العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تح:د. مفيد قمحة، بيروت دار الكتب العلمية، ط2 ، 1409هـ-1989م.

16ـ ابن قتيبة. الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، تا:1966م .

17ـ القيرواني، أبي علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت لبنان - دار الجيل ، ط 4، 1972م.

18- المُبرِّد، محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة المعارف، دون تاريخ.

19- المرزباني، نور القبس المختصر عن المقتبس، تح: رودلف زيلهايم، طبعة دار بيروت للنشر والتوزيع، ت 1964م .

20ـ المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح، ت: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر ، مصر الجديدة ،1385هـ-1965م.

21- ابن المعتز. طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، ط4 ، 1375هـ-1956م.

22ـ مندور، د.محمد. النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،1972م.

23ـ هدارة، د.محمد مصطفى. مشكلة السرقات في النقد العربي، بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي، ط3، 1401 هـ – 1981م.

24- هدارة، د.محمد مصطفى، مقالات في النقد الأدبي، بيروت ، دار القلم ،1964م.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2008/9/2.